أثر الثقافة الإسلامية في التحولات عند أهل اليمن.

د. عبدالواحد أحمد ناجي أحمد الحميدي

كليّة التربية جامعة عدن

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد :

جاء هذا البحث تحت عنوان "أثر الثقافة الإسلامية في التحولات عند أهل اليمن " ، وهو ما يعود بالحديث إلى بزوغ فجر الإسلام الذي أحدث تغيراً في القيم الإنسانية والمعتقدات، وكيف كان الإسلام مؤثرا في دحض كل العقائد والثقافات السائدة التي تمردت على القيم النبيلة والعقائد الإيمانية الحقة التي كان عليها النبي إبراهيم الخليل عليه السلام ، وبما أن أهل اليمن كانوا قد تفرق أمرهم في ثقافات عمت جميع أرجائه من وثنية وغيرها وفدت مع الاحتلال الفارسي ويهودية منتشرة، ونصرانية في نجران، فأصبح مهددا، وبأمس الحاجة إلى عقيدة تجمعهم تحت راية واحدة، وهو ما حصل بالفعل وبمجرد سماعهم لدعوة هذا الدين عن طريق التجارة و مواسم الحج وقد فكر أهل اليمن بجدية في اتباع هذا الدين، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم لغة الرسائل والدعاة إلى أهل اليمن ،وكان أن كتب الله لبعض القبائل أن تسارع في العام السابع الهجري ونهاية العهد النبوي، فتوجت هذه المرحلة بإسلام باذان الفارسي الذي كان واليا من قبل سيده كسرى الذي مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزق الله ملكه، وبإسلام أهل اليمن وتسليم باذان بالأمر وإشهار إسلامه أصبحت اليمن جزءا من الدولة الإسلامية.

وما نلاحظه هنا هو أثر الثقافة على أهل اليمن ومن خلال الوسائل والبعوث والسرايا الموفدة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، من بداية العام السابع الهجري، وكيف أذنت بالتحول إلى عقيدة الإيمان بالله وحده، والتحول من البؤس والشقاء إلى أخوة الإيمان، والتحول في النظر إلى مكانة المرأة وحقوقها، ومن ثم تحولات قيمة ترتب عليها تحسن واقع الحال الوظيفي، وتحمل المسؤوليات، وفقا لمنهجية المرحلة في مختلف الجوانب، ومن ذلك التوحيد الإداري، وتعيين الموظفين لأخذ الصدقات وتصريفها في مصارفها، كما تمثلت الخطوات بالتدرج، وتعيينات تضمن الإشراف على مناطق كبيرة تسمى المخاليف. ازداد واقع اليمن ثقافة بالإسلام وأثروا على محيطهم الاجتماعي كمركز رئيس في الجزيرة العربية، وازداد ذلك في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وحبهم وارتباطهم بمركز الدولة وبوازعهم الديني استجابوا لكتاب أبي بكر الصديق عندما كتب لهم يدعوهم لمحاربة الروم .

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد امتدح أهل اليمن فكانوا جنوداً لدعوته، واقبلوا على طلب العلم عنه ، وقد ذكر المؤرخون أن أول من أسلم وقرأ القرآن على يد يحنس الخزاعي كانت امرأة في صنعاء ،وتشير المهمة التعليمية والتربوية لكل من معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري كواليين أرسلهما النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وبهذا توجت الحياة اليمنية بهذا التحول العلمي والثقافي في العصر الإسلامي بمكرمة عظيمة وهي الريادة العلمية المتمثلة بمدرسة تهوي إليها أفئدة المتعلمين وتُضرب إليها أكباد الإبل، من شيوخ وطلاب.

فالإمام أحمد بن حنبل أتى إلى (عدن)فوجد أحد علمائها المقصود قد مات. ولقد مثلت هذه الحركة التجديدية شخصيات أربع عملاقة كان لها أكبر الأثر في تشكيل الأفق المعرفي، وبلورة معالم التجديد الفكري عامة والفقهي خاصة. فأول رواد هذه الحركة العلمية الأولى المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير، تلاه في القرن الحادي عشر الهجري المجتهد الحسن بن أحمد الجلال وصلاح بن مهدي المقبلي ثم تسلم مشعل هذه الحركة في القرن الثاني عشر الهجري محمد بن إسماعيل الأمير، ثم توجت الحركة العلمية والفقهية والفكرية بمكانة الإمام الشوكاني كمجدد نادى في كل فتاواه بالوحدة الفكرية والفقهية والعقدية، وخطا الشعب وراءه فتأسست مدارس في شمال اليمن وجنوبه يدرس فيها كتب الشوكاني وفكره، ويأتي وارث علم الشوكاني الحفيد محمد ابن إسماعيل العمراني، وبنفس الملكة الفقهية والفكرية كامتداد لتلك الحركة العلمية والثقافية في اليمن.

أولا: المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

وبعد : فإن من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين لإخراج خلقه من الظلمات إلى النور ومن حكمته أنه سبحانه جعل للتغيير أسبابا تجعل الإنسان أمام الحقيقة التي تدعوهم إليها واضحة البيان دون خفاء ولا علة وهو يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣. ولهذا فقد كان الوحي يعاود الخليقة بين فترة وأخرى ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ الأنعام: ١٠٤. ، وقد كان لثقافة النصوص الإسلامية أثرٌ في إرشاد الناس وتحويلهم من مسارات الانحراف المتعددة إلى طريق ومسار مستقيم ومن خلال هذا البحث الذي بين أيدينا نتعرف على مدى تأثير الثقافة الإسلامية على أهل اليمن وكيف تحول بهم الحال إلى اتباع الهدى ونبي الإسلام.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١ـــــ لفت الانتباه إلى أثر الثقافة الإسلامية عند أهل اليمن وكيف أصبحوا أنصارا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وتخليهم عن عبادة ما جاء به الفرس من عبادات باطلة واعتقادات بالنجوم وغيرها، وكذلك ما كان من أثر لليهودية والنصرانية من معتقدات محرفة في نجران.

٢ـــــ أثر الثقافة الإسلامية من تحولات إيمانية وأخوية واجتماعية وإدارية وتحمل للمسؤوليات في اليمن.

٣ـــــ النظر إلى ما أحدثته الثقافة الإسلامية من حركة علمية وفكرية وتجديدية في اليمن.

ثالثا: أهمية الموضوع: تكمن الأهمية في التعرف على أثر الثقافة الإسلامية التي أثرت في أهل اليمن وكيف أكسبتهم صفة الإيمان وتسارعهم في الاستجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف غيروا واقعهم من الجاهلية إلى الإسلام، وكذلك التعرف على تحولهم الاجتماعي، والإداري، والعلمي، والثقافي.

رابعا: منهج البحث:

وقد اعتمدت في البحث طريقة المنهج الوصفي في عرض الأقوال وكذلك المنهج الاستنباطي للوصول إلى تحليل موضوعات البحث، وقد قسمت البحث إلى خمسة مطالب وخاتمة أجملت فيها النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث ثم التوصيات.

المطلب الأول: التحول من الجاهلية إلى الإسلام.

المطلب الثاني: التحولات الاجتماعية.

المطلب الثالث: التحول الإداري وتحمل المسؤوليات.

المطلب الرابع: التحولات العلمية والثقافية.

المطلب الخامس: مجددوا اليمن الأربعة.

المطلب الأول: التحول من الجاهلية إلى الإسلام.

كانت الأوضاع في اليمن قبل ظهور الإسلام متردية، فقد تعددت الثقافات في جميع أرجائه؛ من وثنية تعبد من دون الله، وأجرام سماوية، ومجوسية ؛وفدت مع الاحتلال الفارسي، ويهودية منتشرة، ونصرانية في نجران، وفي هذه المرحلة ضمت اليمن عدداً من الثقافات، وأصبح مهددا في وضعه الديني وفي أمس الحاجة إلى ديانة وعقيدة تجمعهم تحت راية واحدة تحدد وحدة الهوية والانتماء وتهديهم إلى الصراط المستقيم.

وفي هذه الظروف التي شهدها الواقع في اليمن، وصل إلى الأسماع خبر الدعوة المحمدية فهب عدد كبير من أهل اليمن معلنين وملبين، فمنهم من أسلم وصدق بالرسالة وبذل في سبيل ذلك نفسه، ومنهم من تريث وكلف نفسه عناء

السفر ليسأل عن هذا الأمر ويناقش ثم أسلم. ولهذا قال الخزرجي[١]"اجمع المسلمون على أن أهل اليمن أسلموا على عهد رسول الله صلى الله وسلم"[٢].

ويبقى السؤال: كيف وصلت أخبار هذه الدعوة الإسلامية المحمدية إلى اليمن؟.

ونظراً لما يتمتع به اليمن من الموقع التجاري في الجزيرة العربية وتبادل المنافع، وترددهم على البيت الحرام، وقد ذكر القرآن الكريم أن قريشا لها رحلتان في التجارة ـــــ رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ قريش: ٢، وبهذا يظهر لنا وصول الدين الإسلامي إلى اليمن ليحل محل تلك الثقافات والديانات المتعددة بواسطة طريقتين:

الطريقة الأولى: عن طريق التجارة.

كان لقريش في كل عام رحلة تجارية إلى اليمن، كانت هذه الأسواق العربية التجارية في اليمن أهم وسيلة لنقل المعلومات وأنجع طريقة في وصول خبر مبعث النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بهذا الدين من مكة إلى اليمن بل كان أمرا مستطاعا. كما أن أهل اليمن يترددون على الأسواق التي كانت تقام في أنحاء الجزيرة العربية على مدار العام[٣].

الطريقة الثانية: مواسم الحج:

ففي موسم الحج، يتوافد الحجيج من أنحاء الجزيرة ومن هؤلاء قبائل أهل اليمن يحضرون المواسم، بل كانت لهم منازل في مكة ينزلون بها في كل موسم[٤]، وأخرج الطبري بسنده عن عفيف الكندي قال: (كان العباس بن عبد المطلب لي صديقا، وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم، فبينما أنا عند العباس بمنى، فأتى رجل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام يصلي فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلي، ثم خرج غلام قد راهق فتوضأ، ثم قام إلى جنبه يصلي، فقلت ويحك يا عباس ما هذا؟ قال: هذا ابن أخي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب يزعم أن الله بعثه رسولاً، وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد قد تابعته على دينه. قال عفيف بعدما أسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعا)[٥].

وإثر سماع أهل اليمن بالإسلام عن هذين الطريقين، بدأوا يفكرون بجدية في اتباع هذه الدعوة، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم، على تبليغ القبائل بدعوته وكان لأصحاب السبق والاستجابة لهذه الدعوة النصيب الأوفر من تحمل الجهد والعناء والبذل والتضحية في سبيل البلاغ

المبين وتحقيق التحول العقدي والثقافي في اليمن، كان هذا التوجه نحو اليمن إثر سقوط الخطر المتمثل في زعامة قريش أمام الدولة الناشئة في المدينة.

وقد استخدم الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لغة الرسائل والدعاة، وحملها إلى المدعوين رجال على قدر من الكفاءة خصوصاً أن أهل اليمن أصحاب لغة وبيان، وأهل كتاب، ومن هذه القبائل المستهدفة بالدعوة: حمير، وحضرموت، وكندة، وبعض همدان، بالإضافة إلى نصارى نجران، والأبناء. وهي مراكز لها ثقلها في الحياة الثقافية في اليمن. وقد تراوح إسلام هذه القبائل في العام السابع الهجري، ونهاية العهد النبوي. وقد رافق هذا التحول مع تحول الإدارة الفارسية على إثر تمزيق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفضه قبول الدعوة، وأمره لعامله باذان في اليمن بأن يرسل إلى الحجاز من يأتي بهذا الذي دعاه.

استقبل رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وفد باذان وبطريقة دبلوماسية، وفاجأ الوفد بخبر وهو أن كسرى قتله ابنه فليرجعوا وحمل الوفد رسالة تدعو باذان وقومه وهي:((إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء))[٦]، وانتظر باذان مجيء الخبر من شيرويه، ولكنها فترة ليست بالقريبة وبعد فترة الانتظار يأتي رسول شيرويه بالخبر الذي أخبرهم به رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وكانت حادثة لها أثرها في إسلام الفرس في اليمن مع القبائل وتحولهم إلى ثقافة واحدة تجمعهم هي ثقافة الإسلام وعقيدته، وصارت اليمن ومن كان يسطو عليهم من الفرس جزءاً من دولة الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من نصارى نجران، بعد مراسلات منه وجدال بالتي هي أحسن فخيرهم بين الجزية والقتال فرفضوا القتال وكذلك رفضوا صورة الجزية ولكنهم قبلوا أن يفرض عليهم شيء من المال[٧]كما طلبوا أن يبعث لهم بمن يحكم فيهم في أمور يختلفون فيها، فأرسل إليهم أبا عبيدة بن الجراح[٨]واتخذ الرسول الله صلى الله عليه وسلم خطوات من شأنها ربط التحولات بالدولة الإسلامية، ومنها الإشادة بإسلام الزعماء الذين كاتبوه واقرارهم على أقوامهم وأملاكهم، وتحديد مالهم وما عليهم من الحقوق والواجبات، وكذلك خطته في تعليم الناس الإسلام فقد كلف معاذ بن جبل الخروج إلى اليمن في أواخر السنة التاسعة الهجرية، وفي ظل المتغيرات التي طرأت على واقع المجتمع اليمني، وتعدد الثقافات فيه، نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخدم وسيلة وأسلوباً آخر إلى جانب وسيلة إرسال الدعاة والرسائل التي وجهها إلى القبائل الكبيرة والتي قوبلت باستجابة وقبول وحددت مواقفها من هذه الدعوة الجديدة.

هذه الوسيلة هي: الدعوة بالبعوث والسرايا، ولكن توجيهها في هذه المرة كان على شمال تهامة، وبلاد السراة ومشارف همدان من الشمال العربي، وشمال مذحج وخولان من وادي نجران[٩]،ولكن من أجل أن نلحظ أثر وسيلة إرسال البعوث والسرايا الموفدة إلى اليمن في التحول الثقافي عند بقية

المستهدفين في بقية طبقات المجتمع اليمني. وهو جهد بذلته الدولة الإسلامية، من العام السابع الهجري. وهي سرايا متلاحقة لبقية من أصر على مبدأ الجاهلية. وسيلة على إثرها أسلمت القبائل الواحدة تلو الأخرى وإقبالهم على التسليم والولاء لدولة الإسلام الوليدة بمنهجها وتعاليمها الهادفة، وكان أثر الاستجابة إرسال الوفود إلى عاصمة دولة الإسلام، وهذه الوفود كانت من عدة قبائل، من مأرب، والمهرة، وبني نمد، وبارك، وغافق، وغامد، والرهاويين، وحوشب ذي ظلم [١٠]هذه نتيجة حتمية لما أخبرتنا به نصوص الكتاب والسنة، عن السمة التي اتصف بها أهل اليمن من الفضائل، وحسن تقبلهم وتدبيرهم لمجريات الأحداث والتعامل مع المتغيرات حيث يسمعون ثم يستحسنون أو يستقبحون، وهي ثقافة سابقة عندهم، فقد استقبحوا دعوة أبرهة الأشرم عندما أراد صرف أنظار العرب إلى صنعاء بدلاً من مكة، فشيد كنيسة ليحج إليها العرب بدلا من مكة وبالغ في بنائها وزخرفتها لتحل محل الكعبة[١١]، فعبروا عن رفضهم لها أشنع تعبير، إذن فهذه التحولات الاجتماعية تقول لنا إن لأهل اليمن قصب السبق في المساهمة في تهيئة الجزيرة العربية لمكون ثقافي جديد يجمعها لتكون مركزاً للإسلام، ومحطة انطلاقه.

المطلب الثاني:التحولات الاجتماعية.

إن أي نظام يتكون من أفراد تربطهم علاقات اجتماعية متبادلة من الطبيعي أن تشتمل على جوانب التفاعلات الاجتماعية، والمعتقدات وأواصر التجمع، والقيم، ووسائل الاتصال.

وأسباب التجمع بين الأفراد، وضبط عاداتهم، لم يبعد عن جوانب الاعتبارات الإنسانية وحقوقها، أي أنه نظام يشمل كل جوانب الحياة وتحولاتها الاجتماعية. وهذه هي الأنماط والأشكال التي أشارت إليها الدعوة الإسلامية عند مقدمها إلى المجتمع اليمني.

وقال الإمام القرطبيّ في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ آل عمران: ١٠٣ إنّ اللّه تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، لأنّ الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، وروي عن عبد اللّه بن مسعود- رضي اللّه عنه- في الآية الكريمة أنّ حبل اللّه هو الجماعة" (١٢). وقال: "ويجوز أن يكون المعنى: ولا تفرّقوا متابعين الهوى والأغراض المختلفة بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ آل عمران: ١٠٣، وقال ابن كثير- رحمه اللّه-:" أمرهم اللّه- عزّ وجلّ- في الآية الكريمة بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنّهي عن التّفرّق والأمر بالاجتماع والائتلاف، وقد ضمن اللّه لهم (أي للمسلمين) العصمة من الخطأ عند اتّفاقهم واجتماعهم)، وخيف عليهم الخطأ عند الافتراق والاختلاف"[١٣].

من خلال ما سبق يتبين كيف حدثت التحولات الاجتماعية العادلة التي أضفت على أهل اليمن خلقاً عظيماً هو حفظ كرامتها وأحيا فيهم الروح الإنسانية والقيم العادلة وتثبيت أواصرها الإيمانية المقدمة على رابطة العصبية والنسب، لأن المعيار الأساس لهذا التحول هو علو القيم واستقامتها في الإنسانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ سورة الحجرات : ١٣.

وقد كان أهل اليمن قبل ظهور الإسلام في تمزق وانهيار في الوضع الاجتماعي وأمنه واستقراره، وكان الحال يستدعي ثورة تنهي مايقاسونه من تخلف، واضطراب.

وعند إلقاء الضوء على جوانب التحولات في اليمن يتبين لنا فرض الأولويات، وتمكينها في تغيير ذلك الواقع ومن خلال أهم القضايا التي تبحثها الثقافة الإسلامية وهي كما يلي:

أولا: التحول إلى عقيدة الإيمان بالله وحده:

اعتمدت الدعوة الجديدة مبدأ التخلي والترك للعقائد الباطلة وما رافق ذلك من عادات وثقافات وثنية، ومجوسية، ونصرانية محرفة، وكل ذلك مغايرة لمبدأ الفطرة التي خلق الله الإنسانية عليها، واستخدمت وسيلة البيان والإيضاح بالدليل والبرهان، والجدال بالتي هي أحسن.

مع أن أهل اليمن حين ذاك يزعمون أنهم ورثة دين إبراهيم عليه السلام. وهو قول مزعوم أمام ماذكر من العقائد والثقافات الزائفة والمحرفة.

وهم في هذه الحالة يجدون أنفسهم في دعوة وخطاب وتصور إسلامي هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة لا الموروث المتعارف عليه.، تصور موحد في المعتقد، وأن الله هو الذي يدعوهم لذلك وهو المتفرد في الخلق والملك، والمدبر والمحيي والمميت والضار، والنافع، وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد، ومبدأ التلقي والاستدلال في هذه الحالة هو منهج جديد متمثل بمصدري الوحي، الكتاب والسنة.

ثانياً: التحول من ثقافة البؤس والشقاء إلى الأخوة والاجتماع:

قال ابن خلدون في المقدمة:"فإن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكن وجودهم، وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم"(١٤).هدف الثقافة الإسلامية إعادة اللحمة بين أبناء الجنس البشري الواحد وإزالة أسباب النزاع والخصام ومظاهر الانحراف الذي أصيبت بها الأمة. فكان الإسلام ونوره الذي أضاء دياجير تلك الظلمات الجاهلية وفند قاعدة العصبية التي تقوم بين الجماعة المنتسبة إلى نسب واحد أو حلف أو لغة، وجاءت الأخوة الإيمانية بديلاً فاعلاً،

ووضعت تلك الحروب الثائرة التي جرت بين حضرموت وكندة، وحروب قضاعة، وهمدان، ومذحج، وخولان(١٥).

وكان انعدام الأخوة الإنسانية بينهم أشد خطرا عليهم وأبلغ ضرراً من الأمم الأخرى؛نظرا لوجود الحكومات في هذه الأمم التي تمنع من وقوع الحروب بين رعيتها أو تخفف من ذلك على الأقل، أما العرب فلم يكونوا يعرفون نظام الحكم الشامل بل كانت كل قبيلة تحكم نفسها بنفسها بمقتضى أعراف وتقاليد اتفقوا عليها

فمثل هذه الثقافة التي لم تقف عند حدود ما حصل، حتى كانت حرب (حاطب) وسببها أن رجلا من بني ثعلبة نزل على حاطب بن قيس الأوسي فرآه يزيد بن الحارث الخزرجي في السوق فقال لرجل يهودي: لك ردائي إن كسعت هذا الثعلبي – يعني يضربه بقدمه من الخلف، وهذه إهانة – فأخذ اليهودي الرداء وكسع الثعلبي، فنادى الثعلبي: يالحاطب كُسع ضيفك وفضح، وأخبر حاطب بذلك، فجاءه فسأله: من كسعك ؟ فأشار إلى اليهودي، فقتله حاطب، فجاء يزيد بن الحارث الخزرجي فأسرع ليقتل حاطبا ففاته وقتل رجلا آخر من قومه، فثارت الحرب بين الأوس والخزرج، وكان الظفر فيها للخزرج، وتبع ذلك حروب أخرى.

ثم كان آخر أيامهم يوم (بعاث)، وذلك أن حلفاء الأوس من اليهود جددوا عهودهم معهم على النصرة – وهكذا كان كثير من حروب الأوس والخزرج يذكيها اليهود حتى يضعفوا القبيلتين فتكون لهم السيادة الدائمة – واستعان كل فريق بحلفائه من القبائل المجاورة، والتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا كانت نهايته لصالح الأوس(١٦).

وهكذا قامت الحروب بين أبناء العم وكان المستفيد الأول منها يهود المدينة، و لم تنقطع هذه الحروب إلا بعد أن هداهم الله إلى الإسلام الذي ألف الله تعالى به بين قلوبهم فأصبحوا الرافد الثاني لنصر الإسلام بعد المهاجرين.

وما إن بزغ فجر الإسلام حتى ظهر النداء بالأخوة تحت ظلال الإسلام، فنزل القرآن معلنا هذه الأخوة وداعيا إليها فالقرآن لم يخاطب أمة واحدة فقط، وإنما خاطب الناس جميعا بعبارات مشتركة تخدم أمورًا معنوية سامية بإمكان البشر جميعا أن يتصفوا بها وأن ينضووا تحت لوائها، كلفظ (الإيمان):﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران : ١٠٢ أو بلفظ عام ينطبق بمدلوله اللغوي على البشر جميعا كلفظ(الناس﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ سورة النساء : ١٧٠-١٧٤ ، ولقد جاء البيان في القرآن الكريم بأن المؤمنين جميعا

إخوة على مختلف أجناسهم ولغاتهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات: ١٠، فالأخوة الإيمانية هي التي تربط بين المؤمنين جميعا وهي أقوى من رابطة الدم واللون واللغة وغير ذلك من الروابط الجاهلية، لأن أُخوة الإيمان منبثقة من رابطة العقيدة الدينية وهذه العقيدة أشد رسوخا وأعظم ثباتا في النفس من الروابط الجاهلية الواهية، حيث إن هذه العقيدة تشد معتنقيها إلى تصور حياة أخرى أكمل من هذه الحياة الدنيا، فيشعرون بمسؤولية الحساب ويرجون الثواب ويخافون من العذاب.

كما أثبت الله سبحانه الأخوة الإيمانية لمن أسلم من الكفار وأدى فرائض الإسلام قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ١١، ونظرًا لما لهذه الأخوة الإيمانية من قوة في التأثير على سلوك الأفراد فإن النبي صلى الله عليه وسلم يعبر بها كثيرًا في بيان الواجب في سلوك المسلم كما في قوله ((المسلم أخو المسلم)) ثم يرتب على هذه الأخوة الإسلامية طائفة من التوجيهات السامية نحو السلوك المستقيم حيث يقول: ((لا يظلمه ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسْب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))[١٧]، وكما في قوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[١٨].

ومن هذه الأمثلة يتبين لنا مدى اهتمام النبي صلى عليه وسلم، بالأخوة الإسلامية ورعايته لها حتى آتت ثمراتها الطيبة في إصلاح سلوك المجتمع الإسلامي الذي امتد من المدينة حينها إلىأن شمل أهل اليمن ومن ثم الجزيرة العربية كلها.

المطلب الثالث: التحول الإداري وتحمل المسئوليات.

صدع النبي محمد ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ في مكة بدعوة الإسلام، في عام ٦١٣م للميلاد، أي قبل بدء التأريخ الهجري الإسلامي باثني عشر عاماً، ولا شك أن أصداء دعوة الإسلام وبسبب العنت الكبير الذي لاقاه رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ من قومه قريش قد وصلت فيما وصلت إلى اليمن والتي كانت في تلك الأثناء منقسمة ومجزأة بين قوى قبلية هي: حمير، وحضرموت، وكندة، وهمدان، وبين حكم فارسي في صنعاء وعدن وما حولها، وبين جيب في نجران للنفوذ الروماني الحبشي وهو الجيب الذي كان فيه نصارى نجران هناك، وقد بدأ أفراد من قبائل مختلفة كالأشاعرة ودوس وهمدان والأزد يستجيبون لهذا الدين وينشطون للدعوة له.

تحول اليمن إلى ولاية من ولايات دار الإسلام، تجري عليها نظم الإسلام وقواعده، عبر مراحل من حياة النبي صلى الله عليه وسلم– وفقا لمنهجية المرحلة التي رافقت الدعوةالإسلامية في مختلف

الجوانب ومن ذلك التوحيد الإداري- فقد بدأت مراحل انضمام اليمن إلى الدولة الإسلامية منذ العام السابع للهجرة. عندما كان الرسول صلى الله عليهوسلم يتبع سياسة إقرار زعماء القبائل الذين أعلنوا إسلامهم وولاءهم لدولة الإسلام، على مناطقهم. حيث أقر باذان الفارسي زعيماً على المناطق التي كانت تحت أيدي الفرس(الأبناء) في صنعاء وعدن وما جاورهما وربطها إداريا بمركز الدولة الإسلامية[١٩].وكذلك الحال مع بقية القبائل حيث تم إقرار زعماء القبائل على مناطقهم، أمثال: جرير بنعبد الله البجلي، الذي أقر على قبيلته بجيلة و وائل بن حجر الحضرمي على إقليمحضرموت بقبائلها، والطفيل بن عمرو الدوسي على قبيلته دوس، وفروة بن مسيك المرادي على مراد و زبيد ومذحج والأشعث بن قيس الكندي على كندة، وأقر زعماء حمير على مناطقهم... ونحو ذلك[٢٠].

سار التنظيم الإداري لليمن في عهد الخلافة الراشدة على المنهج النبوي فياختيار الولاة من الصحابة العدول من ذوي الكفاءات المتميزة في الدعوة والعدل والأخلاق والإدارة والعلم والقيادة وتطبيق شرع الله... وغير تلك من السمات التي جعلتهم مؤهلين للقيام بتبعية الولاية في مختلف جوانبها على الوجه الأمثل. فالوالي كان داعية ومعلما ومربيا ، وكان من مهامه الحفاظ على السكينة والهدوء، وتحقيق وحدة الولاية و ربطها مركزيا بالخلافة من خلال تطبيق النظم المختلفة التي تأتي من المركز، ومن خلال تنفيذ ما يأتي من الخليفة من توجيهات، ومن خلال الدعوة إلى الجهاد.

"وقد حدث بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام نوع من الاضطرابات نتيجة أحداث وحروب الردة، واليمن كان من ضمن البلدان التي حدثت فيها تلك الاضطرابات، ونتيجة لذلك فإن ولاة الأقاليم اليمنية السابقين سوى زياد بن لبيد البياضي. قرروا العودة إلى المدينة فاستأذنوا الخليفة أبا بكر في ذلك فأذن لمن يريد العودة بشرط أن يستخلف على عمله من يرضاه"[٢١].فعاد معاذ بن جبل واستخلف مكانه على الجند: عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي. وكان على تهامة الطاهربن أبي هالة، أو سويد بن مقرن المازني، وعندما قدم المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن للمشاركة في القضاء على الردة – وبعد القضاء عليها – استقر في اليمن و تولى على صنعاء ومخاليفها، مع الإشراف العام على الولاة في عامة اليمن. فكانت ولاية اليمن فيأواخر عهد أبي بكر مقسمة إلى ثلاثة مخاليف كبيرة هي: الجند ومخاليفها وعليها: عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي، وحضرموت ومخاليفها وعليها: زياد بن لبيد البياضي، وصنعاء ومخاليفها وعليها: المهاجر بن أبي أمية. حيث أصبح كل من مخلافي تهامة ونجرانتابعين لمخلاف صنعاء، وفي خلافة عمر- ونتيجة لسياسته الإدارية الجديدة التي تعتمدجمع المناطق الواسعة تحت وال واحد مسؤول أمامه – صارت اليمن من نجران وحتى حضرموت ولاية واحدة عليها والٍ واحد عام صار مسؤولاً مسؤولية كاملة عمن يتبعه من ولاة الأقاليم والمخاليف.

فتولى ولاية اليمن يعلى بن أمية، الذي صار المسؤول الأول عن ولاية اليمن أمام الخليفة وعما يحدث فيها من صغيرة أو كبيرة [٢٢].

وقد أوردت المصادرجملة من الأخبار المرتبطة بولاية (يعلى) على اليمن والتي نستنبط منها أمورا كثيرة، منها: ما يدل على ارتباط اليمن مباشرة بالخليفة من خلال إشرافه المباشر على هذه الولاية ومتابعة ما يجري فيها؛ لحرصه على تحقيق العدل في ولاية اليمن. ومما أوردته المصادر في هذا السياق خبر عزل الخليفة عمر ليعلي بن أمية عن اليمن أكثر من مرة بسبب شكاوى متنوعة تقدم بها إليه مباشرة بعض أهل اليمن من مناطق مختلفة، سواء كانت شكاوى ضد الوالي أو ضد ولاته؛ فكان المسؤول عن كل ذلك أمام عمر هو الوالي العام (يعلى) الذي استدعي إلى المدينة للمثول أمام الخليفة للتحقق ممن تلك الشكاوى[٢٣]، وكان الخليفة قبيل مقتله قد استدعاه إلى المدينة – بسبب شكوى – ، على أن يأتيه من صنعاء ماشياً على قدميه، وبينما هو في طريقه إلى المدينة، تلقى كتاباً من الخليفة عثمان يبقيه على اليمن فعاد إلى عمله، وهكذا ارتبطت اليمن الواحدة ارتباطاً مباشرًا بالخليفة الذي كان أيضاً لا يغفل عما يدور في أي ولاية من ولايات دار الإسلام؛استشعارًا منه بالمسؤولية الملقاة على عاتقة، والتي جعلته يقول تلك المقولة المشهورة التي يجب أن يستشعرها كل مسؤول في كل زمان ومكان، والتي خشي أن يسأله ربه عن دابة عثرت بسبب طريق لم يمهد لها في أي منطقة من مناطق دولته، وكثيرة هي الأخبار التيتدل على هذا الارتباط المباشر بمركز الخلافة وتواصل الوالي مع الخليفة في شؤون منولاية اليمن، ومن ذلك قصة الطفل الذي وجد ميتا في بئر في صنعاء وموقف الخليفة منقضيته.[٢٤]

وهكذا كان اليمن في عهد الخلافة الراشدة إقليما موحدا، يرتبط إداريا وسياسيا بمركز الدولة الواحدة، وكان للفضائل التي ذكرت في القرآن والسنة أثر في نفوس أهل اليمن وبعثت فيهم الوازع الإيماني وأصبحت ثقافة حية دفاقة يفتخرون بها، وتحملوا أدوار عظيمة بعد هذا التحول من الجاهلية، وبرهنوا على صدق حبهم لله ولرسوله بمشاركتهم في الفتوحات الإسلامية.

وفي سبيل ذلك كتب لهم أبو بكر(رضي الله عنه) يدعوهم إلى جهاد الروم الذين في الشام، وهم وأهل الشام على دين هرقل ملك الروم[٢٥] فاستجاب أهل اليمن لطلب الخليفة، وقدمت أول قبيلة من حمير إلى المدينة يتقدمها ذو الكلاع الحميري بعدد كثير وعدة حسنة، ومعها نسائها وأولادها، ففرح أبو بكر والصحابة بمقدمهم وقال:"عباد الله ألم نكن نتحدث فنقول: إذا أقبلت تحمل أولادها ومعها نساؤها نصر الله المسلمين وخذل الله المشركين، أبشروا أيها المسلمون"[٢٦].

وتقدم قيس بن هبيرة المرادي مذحج في جمع عظيم ثم قبائل طيئ[٢٧] يتقدمهم حارث بن مسعد الطائي، ثم جاءت الأزد في جموع كثيرة بقيادة عمرو الدوسي، وقدمت همدان بأكثر من ألفي رجل

بقيادة حمزة بن مالك الهمداني، فسر الخليفة أبو بكر وقـــال: " الحمد لله على صنيعه للمسلمين ما يزال الله يتيح لهم مددا من أنفسهم ما يشد به ظهورهم ويقصم به عدوهم[٢٨]".

المطلب الرابع: التحول العلمي والثقافي:

لقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم اليمن وأهلها، واعتبرهم نموذجاً للإيمان والحكمة، وكانوا جنود الإسلام من خلال دورهم وتأثيرهم في تلاقح حضارة الإسلام مع حضارات الأمم المفتوحـــة، فهم أمة سبقت غيرها في فنون العمارة وإنشاء المدن والقرى، ولكن لم يكن للعلم في الـــيمن قبـــل الإسلام مراكزه وميادينه المفتوحة، وإن وجد من تفرد ببعض الأعراف والتقاليد، التي استفاد منـــها اليمنيون للحكم بين الناس والقبائل في الأموال والدماء[٢٩] وكذلك وجود بعض الكهان والرهبان، الذين يخلعون على أنفسهم قداسة عند العوام. وإن وجدت بعض العلوم كالطـــب فهـــي محصـــورة بشخصيات نادرة [٣٠] ولما دخل الإسلام اليمن انقلب الوضع وحصل تحول علمي وثقافي. وأقبلـــت الدولة الإسلامية تخصص دورات تعليمية تربوية لكل قادم على رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم، فيتعلم منه أو من أصحابه ما يؤهله لأن يمسك بأول خيط في سلم التعليم. فيقبل على التلقي ويتـــولى بعد ذلك إيصال ما عنده إلى الآخرين، فنشأت حركة التدوين لكل العلوم وصار كل واحد من كبار الصحابة يعد صاحب مدرسة يؤمه الناس فيتلقون منه ما يحمله من علم [٣١] . ومن طبيعة الإسلام أنه علم من أول مجيئه ونزوله من عند الله، قال تعـــالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ العلق: ١ – ٤.

قال الماوردي "العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي على طالبه قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾الزمر : ٩[٣٢].

وبهذا يصبح المسلم مطالبا بأن يقبل على طلب العلم، لذلك أقبل أهل اليمن على دراسة العلوم الدينية واللغوية بشغف شديد، وساهموا مساهمة فعالة في ازدهار علوم الإسلام. وبرز منـــهم علمـــاء كثيرون يشار إليهم بالبنان، صنفوا المصنفات القيمة في مختلف فروع العلم، وخرجت قمـــم علميـــة، وأقيمت لها المراكز وتوافد إليها طلاب العلم من كل مكان، وأنتجت تراثا علميا ضـــخما في شـــتى العلوم والمعارف، ثم انتشرت حركة التأليف في شتى العلوم، ثم جاءت حركة تقعيد العلوم وتبويبـــها وتفصيلها وتنويعها وإذا بالحركة العلمية تصبح ظاهرة في المجتمع الإسلامي تشمل فئات الأمة كلها لا تقتصر على فئة أو منطقة دون أخرى[٣٣].

والمخطوطات المنتشرة في مكتبات المدن اليمنية تشهد على ذلك. كما أن المحافظة عليها دليل على اهتمامهم بهذه العلوم إذ يدركون أن أغلى ما يعتز به المواطن هو تراثه الثقافي ونتاجه الفكري. وقد أخذت بعض هذه المخطوطات حقها في الخدمة فأصبحت في متناول الباحثين تحقيقاً، وتخريجاً، وشروحات؛ فعمَّ نفعها في مكتبات ودور النشر في آفاق وأقطار العالم الإسلامي.

ومن خلال دراستنا للحياة الثقافية في اليمن نجد أن الاهتمام بالعلوم النقلية أكثر من الاهتمام بالعلوم العقلية، وكيف أحدثت ثورة في المجال العلمي والثقافي والأدبي، تحمل معالم التغيير والشهود الرسالي الإسلامي الحضاري، وقد ذكر المؤرخون أن أول من أسلم وقرأ القرآن على يد وبريحَنَّس[٣٤] الخزاعي كانت امرأة في صنعاء، كان بيتها يترل فيه القادمون إلى صنعاء وهي أخت أم سعيد بنت النعمان بن بُزُرْج[٣٥] ، وتشير المهمة التعليمية والتربوية لكل من معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري كواليين أرسلهما النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، أن كل واحد يشكل مدرسة علمية متكاملة. وهي إشارة من الدولة في توجهها وأولوياتها في تنشيط الحركة العلمية في نفوس المجتمع، وتحقيق ما هو مطلوب منها لكل فرد من أفراد الأمة صغيرهم وكبيرهم نسائهم ورجالهم.

وقد كانت الدراسة في اليمن" تبدأ في الكتاتيب ويتعلم فيها التلاميذ القرآن الكريم والكتابة والقراءة والحساب، أما الدراسة المتخصصة فمقرها المسجد، وتعقد في المسجد حلقات للدرس في التفسير الحديث وعلم الكلام، والطالب يتردد على الحلقة التي تناسب ميوله. كذلك اهتم طلاب العلم بالرحيل إلى المدن الأخرى لطلب العلم من الشيوخ المعروفين، والسبب في ذلك أن الناس يأخذون معارفهم تارة علمًا وتعليماً وإلقاءً وتارة محاكاةً، وتلقيناً بالمباشرة، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، وهذا لمن يسر الله تعالى عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها لطلب العلم، واكتساب الفوائد"[٣٦].

توجت الحياة اليمنية بهذا التحول العلمي والثقافي في العصر الإسلامي بمكرمة عظيمة وهي الريادة العلمية المتمثلة بمدرسة تهوي إليها أفئدة المتعلمين وضربت إليها أكباد الإبل، من شيوخ وطلاب، من أرض الكنانة، والشام، والعراق، والغرب بل والأندلس. فالإمام الشهير أحمد بن حنبل أتي إلى (عدن) فوجد أحد علمائها المقصود قد مات فيقول: "في سبيل الله تلك الدريهمات التي بذلناها للوصول إلى ابن أخيك" [٣٧]"وقد تحصل على هذه الدريهمات التي صرفها من كراء نفسه في خدمة القوافل التي ترحل إلى اليمن. وهو دليل آخر على توجه العلماء إلى هذا القطر ليجلسوا في حلقات العلم والسماع مباشرة من شيوخهم ليزدادوا من العلم الذي لم يجدوه في أوطانهم"[٣٨]. وتروي لنا كتب التراجم عن الذين تخرجوا من رجالات العلم، وكيف ضربوا في الأسفار وجابوا الأمصار والبلدان، فتلقى عنهم المسلمون ما يحملون من المعارف، حتى وصل بهم الرحال إلى أقصى

ديار الإسلام، فدخلوا مكة، وخراسان، والعراق، والشام ومصر والمغرب والأندلس. ... وسمع علماء من الأندلس على يد علماء اليمن[٣٩]. أصبحت الحركة العلمية بعلمائها تشكل وحدة ثقافية متميزة، وذلك بما حصل بين العلماء من تلاحم في أي قطر يرتلونه، لأن منابعهم العلمية والفكرية، والثقافية واحدة، فهم بهذا الخروج الذي يقومون به بين الأمصار والرحلات العلمية يعد حصيلة متبادلة والرحلة شرط تحصيل العلم[٤٠]. ومن خلال ما سبق عن التحول العلمي والثقافي الذي أنتجته هذه المدارس المرتبطة بالعلماء من ناحية المراكز والمدارس أو من ناحية حركة التأليف والإنتاج العلمي أو من ناحية المذاهب داخل اليمن يتبين لنا أمران:

الأمر الأول: أن المراكز والمدارس شملت اليمن كلها مدنها الكبرى والصغرى حتى عرف في اليمن نظام انفرد به وهو نظام (الهِجَر)العلمية كما ذكر المؤرخ الشهير القاضي إسماعيل بن علي الأكوع معرفاً للهجر بقوله: "اصطلح علماء اليمن على تسمية القرية التي يهاجر إليها من رغب عن سكنى المدن (هِجَر) إضافة إلى اسمها (العلم) ليجعلها دار إقامة له ويتخذ منها لنشر العلم"[٤١]، وهي مراكز منذ أن استقر الصحابي الجليل معاذ بن جبل في مدينة الجند، ومثله وبر بن يُحنَّس الخزاعي في صنعاء، والمقصود بالمدارس الأماكن التي بنيت لغرض نشر نوع من المعرفة، بإشراف جهة معينة تقوم بإنفاق المال عليها من ريع الأوقاف الموقوفة عليها، وتقوم باختيار وتعيين المدرسين والطلاب المرتبين فيها.

"وكان لتقدم الزمن وزيادة عدد السكان وإقبال الناس بأعداد كبيرة على التعليم، فضلا عن انتشار المذاهب الدينية والفكرية في اليمن، دوركبيرفي ظهور فكرة إنشاء مبان تعليمية متخصصة في محاولة من أتباع كل مذهب إلى نشر مذهبهم والقضاء أو على الأقل تحجيم ـ المذاهب الأخرى، وبذلك ظهرت المدارس كمنشآت تعليمية متخصصة في اليمن والتي تواكب ظهورها مع نشأة المدارس في بقية أقطار العالم الإسلامي الأخرى" [٤٢]"بالإضافة إلى ظهور الخانقاوات[٤٣]كمنشآت للتربية الصوفية، وكذلك هجر العلم"[٤٤]كمنشآت أو مراكز تعليمية خاصة بأصحاب المذهب الزيدي، وهذا يفسر لنا سبب انتشار المذاهب السنية في المناطق الوسطى والشرقية والغربية والجنوبية من اليمن في حين تركز المذهب الزيدي في المنطقة الشمالية منها.

إذن، حركة التأليف والإنتاج العلمي. شملت كل المعارف والعلوم "علوم القرآن والحديث وعلم الفقه والفروع وعلوم اللغة العربية والتأريخ والجغرافيا والرحلات والعلوم العقلية والطبيعية من طب وكيمياء وفلك"[٤٥].ولهذا نجد أن هذه المؤلفات والكتب قد ضمت إلى قوائم الفهارس التي قام بجمعها المؤلفون في العصور المختلفة سواء كانت تشتمل على الإنتاج العلمي الإسلامي عموماً أم الإنتاج العلمي داخل اليمن.

الأمر الثاني: أثر الحركة العلمية نفسها وما تولد عنها من نتاج فكري وثقافي وتعدد في مناهج التلقي والاستدلال، ومناهج الاستنباط" فظهرت المذاهب لتثري الساحة اليمنية على أيدي علما اليمن تأصيلا وتقعيدا وهذا ما يدل على أن نصوص هذه العقيدة التي اعتنقهاء أهل اليمن هي التي دفعتهم إلى هذا الثراء العلمي والثقافي. ومن ثم أدى إلى تنوع المذاهب الإسلامية وتنوع الثقافات الدينية وظهور العديد من المؤلفات التي تناقش وتشرح فيها ما ذهب إليه كل مذهب ويبرز سمات مذهبه ويبرز حجته ويدحض حجة المعارضين له"[٤٦]

و لم تعرف بلد بالتسامح المذهبي بين مذهبيها – الزيدي والسني – كاليمن بشهادة المؤرخين اليمنيين والمستشرقين والرحالة الأوروبيين، وفي مقال للأستاذ الدكتور أحمد قائد الصايدي بعنوان (المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن) وهو مستشرق دانماركي جاء إلى اليمن قبل مائتي سنة تقريباً أثناء الكلام عن تصنيف السكان" ..وأن أتباع المذهبين يتعايشون بصورة ممتازة و لم أسمع أنهم يكرهونأتباع الأديان الأخرى"أ.هـ.[٤٧]"ولّما شاعت المقالات والاعتقادات المختلفة بين أهل الإسلام وافترقت الأمة إلى فرق ومذاهب شتى وفشت هذه الآراء في بلاد الإسلام، وتلقفت اليمن كغيرها من سائر بلاد الإسلام بعضا من هذه النحل فكان حظها من نحلة الخارجية أعدلها وهي الإباضية وكانت متواجدة في حضرموت، وكان حظها من الفرق الشيعية أفضلها وهي الزيدية وهم أتباع الإمام الشهيد زيد بن عليين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي خير فرق الشيعة وأقربها إلى السنة تتولى الصحابة رضي الله عنهم وتفارق الرافضة في ذلك. ومن السنة أوسطها وهو مذهب الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، فكأن أهل اليمن اختاروا مذاهبهم اختيارا، وانتقوها انتقاءً وسط هذا السيل الهادر من المذاهب المتباينة، والمقالات المتشعبة، وقد كانت نحلة الإباضيين سائدة في حضرموت واستمرت إلى ما بعد أيام العلامة الفيلسوف لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني فإنه لمأتي على ذكر دوعن قال: "وأما موضع الإمام الذي يأمر الإباضية وينهى في مدينة دوعن"[٤٨]، "وقد ظلت فترة بعده حتى ضرعت خدودهم، وعفت رسومهم، و لم يعد لهم شأن يذكر. وبقي مذهب الزيدية والسنة في اليمن إلى يومنا هذا كجناحي طائر، وظل الاتصال قائما بين علماء المذهبين فالزيدية فتحت باب الاجتهاد، و لم تغلقه كما حصل في المذاهب الأخرى وهذا من مناقبها وكان كل من وجد منفسه أهلية الاجتهاد لم يتقيد بمنقول مذهبه فحصل بذلك خير كثير وخرج من علماء الزيدية علماء أجلاء وائمة فضلاء كالإمام الكبير يحيى بن حمزة والإمام المهدي أحمدبن يحيى المرتضى صاحب كتاب (الأزهار) والإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير، والجلال، والإمام يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم، وابن الأمير، والمقبلي، وشيخ الإسلام عبدالقادر بن أحمد شرف الدين، وشيخ الإسلام الشوكاني، والعلامة هاشمبن يحيى الشامي،، والعمراني والشجني، والعلامة أحمد بن

عبدالوهاب الوريث، وغيرهم ممن لا يحصيهم عد، ولا يحصرهم حد، وهذا إمام الزيدية الأكبر الإمام أحمد بن يحيى المرتضى يستجيز من محدث عصره الإمام سليمان بن إبراهيم العلوي الحنفي في كتابالبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه"[٤٩].

المطلب الخامس: مجددوا اليمن الأربعة:

إن الدراسة المزاوجة بين ثقافة اليمن الحديث ورواد الحركة العلمية الأولى ذات الأبعاد والتوجهات التجديدية، تكشف أن هناك حلقة من المعالجات في إطار حركة الإصلاح والتجديد المستمرة والتي شهدها اليمن في العصر الحديث[٥٠]، التي كان منطلقها الأساس دحض دعوى غلق باب الاجتهاد؛ التي كانت نذير شؤم ليس على الفقه وعلوم الشريعة فحسب، بل على مختلف أوجه النشاط والحياة الفكرية والعلمية والأدبية والسياسية الإسلامية. ولقد مثّل هذه الحركة التجديدية شخصيات أربع عملاقة كان لها أكبر الأثر في تشكيل الأفق المعرفي، وبلورة معالم التجديد الفكري عامة والفقهي خاصة.

فأول رواد الحركة العلمية الأولى المجتهد المطلق محمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠هـ) الذي زاحم – حسب رأي الشوكاني– أئمة المذاهب الأربعة". تلاه في القرن الحادي عشر الهجري المجتهد الحسن بن أحمد الجلال (١٠١٤هـ١٠٨٤هـ).

وصلاح بن مهدي المقبلي(١٠٤٠هـ ١١٠٨هـ)، ثم تسلّم مشعل هذه الحركة في القرن الثاني عشر الهجري محمد بن إسماعيل الأمير الذي وصفه الشوكاني بأنه "من الأئمة المجددين لمعالم الدين"[٥١].

ولقد جمعت هذه الشخصيات الأربع قواسم مشتركة تمثّلت بشكل أساس في الدعوة إلى الاجتهاد وبلوغ أرقى درجاته، والنفور من التقليد والتعصب المذهبي[٥٢]. يظهر ذلك في مؤلفاتهم التي كانت بمثابة ثورة علمية على التقليد، الذي أصبح قاعدة أصولية تحكم كل إنتاج فقهي؛ إذ ألف الوزير كتابيه: (إيثار الحق على الخلق، العواصم والقواصم في الذب عن سنن أبي القاسم)، وألف المقبلي (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ).

كما اشتركت هذه الشخصيات الأربع في دراسة التراث الفقهي عموماً، والهادوي الزيدي على وجه الخصوص، دراسة نقد وتمحيص، قوامها الاحتكام إلى الدليل، والانتصار للحق. يظهر ذلك في مؤلفاتهم الفقهية والأصولية التي لم تكن مجرد حواشٍ أو شروح على الشروح في المذهب، كما هو حال معاصريهم في اليمن وخارجه، بل كانت مؤلفاتهم في هذا المجال اجتهادات انتقادية لا تخضع لأي قوالب مذهبية[٥٣].

"وأبرز مثال على ذلك سلسلة الدراسات النقدية التي أنجزها الجلال والمقبلي والأمير لكتاب(الأزهار) لمؤلفه العلامة أحمد بن يحي المرتضى (٧٧٥هـ/٨٤٠هـ) الملقب بالمهدي"(٥٤)، "الذي صار عمدة الهادوية في عباداتهم ومعاملاتهم"(٥٥). "وهي على التوالي:(ضوء النهار، والمنار، منحة الغفار على ضوء النهار).

ومن القضايا الجوهرية التي احتلت الصدارة في المشروع الإصلاحي للمجددين الأربعة نصرة السنة النبوية. وأشهر من مثّل هذه النصرة كتاب الوزير (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم). ومرجع هذا التحرك الدفاعي عن السنة النبوية إنكار الهادوية الزيدية في اليمن للسنة الواردة في الصحيحين والسنن الأربع، وما يلحق بها من المجاميع، لأن رواتها لم يكونوا من آل البيت"(٥٦).

لكن إحاطة هذا التيار التجديدي بالجغرافية السياسية للدولة اليمنية، ومعرفته لأجنحة الصراع في المجتمع اليمني، جعله يدرك أن إنكار السنة لم يكن صادراً عن قناعة علمية، أو حتى مذهبية بدليل أن الزيدية في الأصل "يصححون ما يصح من كتب السنة ويحتجون بما فيها " (٥٧). بل إن دوافع انغلاق الهادوية على السنة هي دوافع سياسية ومصلحية محضة.

"فقد كانت دعوى نصرة مذهب آل البيت حجة تستتر بها الزعامة السياسية والعلمية والقبلية للحفاظ على مشروعيتها، واستمرار بقائها. إذ كانت الزعامة السياسية ترضى وتتغاضى عن استمرار الدهماء في دائرة المذهبية الضيقة لتمكين نفوذها، واستمرار انحصار الإمامة في نطاق العائلة خشية حكم أهل السنة، وقولهم بجوازها في غيرهم.

كما لم تجد الزعامة العلمية ذات البضاعة المزجاة في علم السنة ما تستر به قصورها العلمي في مواجهة علماء السنة وأنصارها إلا بتأجيج نار المذهبية في نفوس العوام. كما استعملت الزعامة القبلية دعوى نصرة مذهب آل البيت بطاقة ضغط على السلطة الحاكمة لتحقيق مصالحها المادية"(٥٨).

"إن نبذ هذا التيار التجديدي للتقليد، ونصرته للسنة، فرض على رواده الاصطدام بأهل عصرهم، حكاماً، وعلماء، وعامة.

فقد عاصروا الدولة القاسمية التي كان من السهل على بعض رجالها قتل أو سجن أي داعية للإصلاح "فاستغل علماء التقليد، ومن اتبعهم من العامة هذا الموقف السياسي في الثورة على الرواد الأربعة، واتهامهم بمحاولة هدم مذهب آل البيت لاشتغالهم بالأمهات الحديثية، والتزامهم بما فيها من أحكام، وانتقادهم المذهب الهادوي مذهب الدولة"(٥٩)، " كما خرج بعض زعماء القبائل على

بعض الأئمة في جيوش عظيمة بدعوى أن هؤلاء العلماء كادوا أن يهدموا مذهب آل البيت، ولا يرجعون في الغالب إلى ديارهم حتى يجعل لهم الإمام زيادة في مقرراتهم المالية"(٦٠).

ورغم هذا الحصار السياسي والعلمي، فقد اشتهر المجددون الأربعة بمقارعتهم لأئمة عصرهم بنقد وتصويب سياساتهم المالية والعسكرية. فقد" بعث الجلال رسالة إلى المتوكل عنوانها (براءة الذمة في نصيحة الأئمة) عندما بلغه أن قوات جيشه عاثت فساداً عند دخولها في بعض المناطق الجنوبية(٦١)"، "كما أرسل الأمير رسالة إلى المنصور الحسين بن القاسم انتقد فيها السياسة المالية والقضائية للدولة(٦٢)"، "إلا أن شدة المحن والخطوب اضطرت الثلاثة الأوائل إلى المنفى الاختياري، فالوزير انقطع إلى ربّه في القفار، والجلال رضي بالمقام منعزلاً بهجرته بالجراف، والمقبلي نزح إلى الحرمين واستقر بها.

أما الأمير الصنعاني فإن نفسيته، وتفاصيل أوضاعه، ومكانته العلمية، جعلته يستمر في المقام بصنعاء، ومكّنته من فتح آفاق جديدة لحركة التجديد والإصلاح، إذ أنه لم يحصر نشاطه التجديدي في المناقشات النظرية للخلافات الفقهية، كما لم يقصر نشاطه الإصلاحي على محاربة الممارسات البدعية للعوام، والسياسات غير الشرعية للحكّام، بل إن الرجل اقتحم ميدان الوظائف العامة، فتولى الأوقاف، وساهم في إخماد الفتن الداخلية الصادرة عن الصراع الأسري حول الإمامة"(٦٣).

كما صاغ بعقليته الفقهية برنامجاً لإصلاح الأوضاع المالية والاجتماعية في الرسالة التي بعثها إلى المنصور، والتي كانت أهم محاورها: الزكاة، كيفية أخذها وصرفها بطريقة شرعية، تنظيم العملة وصونها من العبث والتبديل، إلغاء الضرائب، إصلاح جهاز القضاء، نشر التعليم الديني على نفقة الدولة، وغيرها من الموضوعات ذات الصلة المباشرة بحياة الناس.

أما الإمام الشوكاني، ت١٢٥٠، فقد ورث مدرسة ابن الأمير، وكان آخر السلسلة الذهبية لأولئك المجددين، تبنى الدعوة إلى الاجتهاد، فكانت القضية المحورية في فكره وفقهه، كما واصل الدفاع عن السنة وخدمة علومها، حتى لقّب بإمام أهل السنة في عصره.

لكن رغم تأثره بهؤلاء الرواد، فقد تميّز عنهم بعطائه العلمي، وأساليبه الإصلاحية. إذ مكّنه النفوذ السياسي الذي حظي به من أن يوسّع ويعمّق الآفاق التي فتحها ابن الأمير، حيث جعل برامج الإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي أحد الموضوعات الفقهية والإصلاحية الهامة التي عالجها وأشرف على تطبيقها، وبهذا استطاع الإمام الشوكاني أن يخرج الفقه الإسلامي من دائرة المُدارسة النظرية إلى حيّز البرامج الميدانية التي تسوس الحياة.

فمكانة هذا الإمام العلمية والفقهية والفكرية ـــ كمجدد ـــ تكاد ان تكون محل إجماع، فقد شهد بها القاصي والداني، مَن عاصَرَه وعامَلَه ومَن جاء بعده وتفقَّه على كتبه.وهو بهذا يُعَدُّ علامة

بارِزة في سجلِّ المجدِّدين في الإسلام إذ " كان شعب اليمن متلهِّفًا إلى عالِم مجتهِد يستطيع توحيده فكريًّا وعقديًّا، ويطرد من الأذهان الأباطيل الشيعيَّة التي تفرض عليه الوصيَّة والقداسة والتقيَّة، فجاء الشوكاني ونادَى في كلِّ فتاويه بالوحدة الفكرية الفقهية والعقديَّة، وخطَا الشعب وراءه، فتأسَّست مدارس في شمال اليمن وجنوبه يدرس فيها كتب الشوكاني وفكره"(٦٤)، فلا غرو أن اعتبره البعض مجدِّد المائة الثالثة عشرة من الهجرة.

وقد قال بعضهم: "ولقد منح الله رب العالمين – سبحانه – من بحر فضل كرمه الواسع هذا القاضي الإمام ثلاثة أمور لا أعلم أنها في هذا الزمان الأخير جُمِعت لغيره:

الأول: سعة التبحُّر في العلوم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأصنافها.

الثاني: سعة التلاميذ المحقِّقين والنُّبَلاء المدقِّقين، أولي الأفهام الخارِقَة، والفضائل الفائقة.

الثالث: سعة التصانيف المحرَّرة والرسائل والجوابات المحبَّرة التي تسامى في كثرتها الجهابذة الفحول"(٦٥).

فأثر الإمام الشوكاني باقٍ حتى يومنا هذا، فمدرسته قائمة ممتدَّة ويشهد بذلك الواقع وسجله العلماء؛ أنه قد ظهر في المذهب الزيدي تيَّار قوي يميل إلى أهل السنَّة بعامَّة، وإلى السلف وأهل الحديث بخاصَّة، وقد مثَّله كثيرون، منهم: ابن الوزير، وابن الأمير، والشوكاني، وما زال تأثير الأخير في مدرسته قائمًا إلى يوم الناس هذا، ويكفي أن أذكر أن تفسيره(فتح القدير) يقع في خمسة مجلدات كبيرة، وأن كتابه (السيل الجرار) في الفقه يشتمل على أربعة مجلدات كبيرة، وأن كتابه (نيل الأوطار) في شرح أحاديث الأحكام يشتمل على ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات كبار، وأن كتابه في أصول الفقه من أصعب كتب الأصول في تفهُّمه واستيعابه، وأن تاريخه (البدر الطالع) يقع في مجلدين... إلخ من كتبه المنشورة، وكلها تحتاج إلى وقت طويل وتركيز مستمرٍّ في متابعتها، ودراستها، وتحليلها، ثم توظيف بعضٍ منها في دراسة فكرية، وثقافية، وسياسية.

وفي هذا الزمان برز منهم شيخنا القاضي العلامة وارث علم الشوكاني محمد ابن إسماعيل العمراني فهو حفيد تلميذ الإمام الشوكاني، جده محمد بن محمد العمراني تلميذ مباشر للإمام الشوكاني، والقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني ممن علمه فيرأسه إذا سمعته وهو يسرد الأقوال، ويذكر الاختلافات، ويستحضر النكت والفوائد الحديثية و الفقهية والتاريخية واللغوية، وقد تمثل قول الإمام الشافعي رحمه الله، عندما قال:

علمي معي حيثما يمت يتبعني قلبي وعاء له لا جوف صندوقِ

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وتصدر القاضي محمد بن إسماعيل العمراني للإفتاء في سن مبكرة في إذاعة صنعاء منذ نشأتها وبعد قيام ثورة ٢٦/ سبتمبر١٩٦٣م يجيب فيه على اسئلة المستمعين في الاحكام الشرعية كل يوم صباحاً ومساءً ومدرساً في معهد القضاء ومسجده، وقد انتدب بعض طلاب جامعة الإيمان وغيرها لجمع اختيارات من تلك السلسة الطويلة التي أنتجها العمراني طيلة سبعين عاماً، وقدمت كأبحاث ودراسات في موضوعه، ولا يزال حتى يومنا هذا رغم تقدمه في السن، وقد تميزت فتواه بعدم التعصب لأي مذهب مما كتب له القبول لدى أهل اليمن عامه، كما يشار اليه في أنحاء الجزيرة العربية، كمفتي عرف من خلا ل برنامج فتاوى، وعرف البرنامج به(٦٦).

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

أولا: **النتائج:** وبعد هذه الجولة في دراسة جانب من جوانب أثر الثقافة الاسلامية على أهل اليمن وتحولاتهم فقد خرج البحث بالنتائج التالية:

١) أثرت الثقافة الإسلامية على أهل اليمن وتحولهم من الجاهلية إلى الإسلام وكانت البداية من خلال سماعهم بخبر الدعوة المحمدية والبحث والسؤال على صاحبها، محمد صلى الله عليه وسلم، ثم عن طريق التجارة ومواسم الحج، واستخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لغة الرسائل والبعوث والسرايا.

٢) اثرت الثقافة الاسلامية في أهل اليمن وجعلتهم يأخذونبمبدأ الترك لكل الموروث الثقافي والعقدي الذي جاءهم من الاحتلال الفارسي، وأثر اليهودية والنصرانية في نجران، فكانالانقلاب السريع،إلى منهاج النبوة، مما أكسبهم أثراً تمثل في الايمان بالله وحده، واجتماعهم على أخوة الإيمان ثم تغير حالهم في التعامل مع المرأة والنظر الى حقوقها العلمية والاجتماعية.

٣) ترتب على واقع هذه التحولات إحداث تغيير في واقع الادارة وتحمل المسؤوليات وكانت خطوة أكسبت أهل اليمن وحدة فكرية ووجدانية وما رافق ذلك من حسن في السلوك والاداء، ونبذ السلوكيات الباطلة وذوبان الولاء القبلي في بوتقة الإسلام.

٤) توجت الحياة اليمنية بهذا الاثر الثقافي الاسلامي بمجموعة من الأدبيات الريادية في العصر الاسلامي وبمكرمة عظيمة، وهي الحركة العلمية التي ضربت إليها أكباد الابل من طلاب العلم حتى وصل أليها الإمامان الشهيران محمد ابن إدريس الشافعي وأحمد ابن حنبل.

٥) برزت في المراحل المتأخرة حركة علميه امتدت من سابقتها وتوجت بمجددين اشتهر اجتهادهم كمجددي اليمن الأربعة المشار إليهم وتسلم زمام تلك الحركة العلمية والفكرية

والادبية عَلَمٌ جديد هو الامام محمد بن على الشوكاني الذي اعتبره البعض مجدد المائة الثالثة عشر الهجري.

ثانيا: التوصيات:

١) تقديم دراسة مستفيضه عن أثر الثقافة الإسلامية في أهل اليمن كنموذج لتقبل رسالة الإسلام وتقديم رؤية عن الأسباب التي جعلت أهل اليمن يتقبلون هذه الدعوة كوسيلة لتؤثر في واقعهم، ومن ثم أصبحت الثقافة الاسلامية رائدة تعطي تلك الأدوار والتحولات.

٢) يوصي الباحث أن تقدم الدراسة صورة ميدانية عن البدايات والنهايات لهذا الأثر الذي تسارع لدى أهل اليمن وبطريقة تحليلية واستبيانية ميدانية حصرية للقبائل التي وفدت وتأثرت ثم أثرت في غيرها واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لها .

٣) أن تقدم الدراسات صورة عن الثقافة الاسلامية وقدرتها على التأثير في المعتقد والسلوك، وتأليف القلوب.

هوامش البحث :

---

(١) أبو الحسن الخزرجى الزبيدي اليمني المؤرخ. اشتغل بالأدب ولهج بالتأريخ وبأخبار بلده فجمع لها تاريخاً على السنين وآخر على الأسماء يعني المسمى طراز أعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن وسماه أيضاً العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن وآخر على الدول.أنظر:الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي: د ط، ج ٣، ص ٥٤.

(٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي(ت:١١٠٠هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح عاشور، دار الكتب العربي، القاهرة، د ط، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، ج١ص٦٩.

(٣) انظر: اليمن في صدر الإسلام، من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية، د. عبد الرحمن الشجاع: دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ط١، ص٨٧.

(٤) المصدرنفسه، ص٩٥.

(٥) تأريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى: ٣١٠ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت:ط١، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٣١٢.

(٦)المرجع نفسه.ج ٢، ص٦٥٦، و السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، ت: ٢١٣هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١، ج٢، ص ٣١٧، ٣٠٨.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام، ج٩، ص٢١.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، ط: بدون. ، ج ١٦، ص٢١٩.

(٩) انظر: اليمن في صدر الإسلام، د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع: ص٧٧.

(١٠) المصدر نفسه.ص٧٧، ٧٩.

(١١) انظر: اليمن فيظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، د. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي، بيروت ـــ لبنان، ١٩٨٢م، ط١، ص١٠.

(١٢) تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: المتوفى:٦٧١هـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ط١، ج٤، ص١٥٩.

(١٣) تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي:٧٠٠ –٧٧٤ هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ط٢، ج١، ص٣٩٧.

(١٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون: دار الفجر للتراث ـــــ القاهرة، ٢٠٠٤م، ط١، ص٦٦.

(١٥) انظر: اليمن في صدر الإسلام، د. عبد الرحمن الشجاع: ص.٢٤ .

(١٦) انظر: الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري: المعروف " ابن الأثير " دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ.، ج١، ص٤٠٢.

(١٧) صحيح مسلم؛: مسلم بن حجاج؛ تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة؛ الناشر: دار طيبة؛ ١٤٢٧ – ٢٠٠٦، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم ٦٧٠٦، ج ٤، ص ١٩٨٦.

(١٨) الجامع الصحيح محمد بن إسماعيل: تحقيق: د. مصطفى ديب البغا،جامعة دمشق دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧، ١٩٨٧م. كتاب الإيمان، بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه، رقم ١٣، ج ١، ص ١٠.

(١٩) انظر: طبقات الفقهاء، لأبن أبي سمرة الجعدي، تحقيق فؤاد السيد، دار القلم، د ط،د ت، ص ٢٢،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: دار السعادة بمصر، ١٣٢٨ه، ط١، ج ٢، ص٢٢٢.

(٢٠) انظر: اليمن في صدر الإسلام، د.عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع: ص٢٠٣.

(٢١) تـأريخ الطبري: مرجع سابق، ج، ٣ص٢٤٩.

(٢٢) انظر: النظم الاسلامية نشأتها و تطورها تأليف : الدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين ــ بيروت ط١، ١٩٦٥م .ص٣٠٩.

(٢٣) تأريخ مدينة صنعاء، لأحمد بن عبدالله بن محمد المعروف بالرازي: (ت٥٤٠٦ه) تحقيق حسين عبدالله العمري: مطبعة صنعاء، ١٩٨١م، ط٢، ص١٦٤.

(٢٤) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري لإبن حجر العسقلاني:، ج ٢٦، ص٥٠، ٥١، وتأريخ مدينة صنعاء، لأحمد بن عبدالله بن محمد المعروف الرازي: ص ١٦٢، ١٦٠، ٢٣٠.

(٢٥)انظر: نص كتاب أبي بكر إلى أهل اليمن في فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدي،طبع عام ١٩٥٤م،تصحيح وليم ماسويسالايرلندي،د ط،ج١، ص٢.

(٢٦)غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين، ج١، ص٨٠.

(٢٧)طيء: مهموز، حي من اليمن ولد طئ بن أدد، بن زيد، ينتهي نسبه إلى سبأ منهم حاتم الطائي الجواد، اليمن الكبرى، بقلم حسين بن علي الويسي: دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٦٢م، د ط، ص١٧٩.

(٢٨)نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون، السيد محمد بن علي الأهدل الحسيني اليمني، الدار اليمنية، توزيع دار المناهل، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٧م، ج١، ص١٢٨.

(٢٩) تأريخ اليعقوبي، لأحمد بن إسحاق ـــ أبي يعقوب ـــ بن جعفر العباسي: ت: بعد سنة ٢٩٢ه ، دار صادر، بيروت،١٩٦٠م، ج١، ص٢٥٨.

(٣٠)الإصابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: ج٢، ص٢١٠.

(٣١) تأريخ اليمن في صدر الإسلام، د.عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، ص٢٧٠.

(٣٢) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، بيروت. ص٤٠

(٣٣) تأريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، (عصر الولاة) د. محمد أمين صالح، ص٢٧٠.

(٣٤) وَبَر بن يُحَنِّس : كان من الأبناء الذين كانوا باليمن فقدم على النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم، فأسلم وقدم من عند النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم، على الأبناء باليمن فنزل على بنات النعمان ابن بُزُرْج فأسلمن، وبعث إلى فَيْروز بن الدّيــْلَمي فأسلم، وإلى مَرْكَبوذ فأسلم. وكان ابنه عطاء بن مَرْكَبوذ أوّل من جمع القرآن بصنعاء، وأسلم باذان باليمن وبعث بإسلامه إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وذلك في سنة عشر.انظر:محمد بن سعد: الطبقات الكبير. "تحقيق: د/ علي محمد عمر، الناشر/ مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م " ج٨،ص٩٢وابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة. "تحقيق: الشيخ/ علي محمد معوض، الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر/ دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م."جـ٦،ص ٤٤.

(٣٥) انظر: تاريخ مدينة صنعاء، لأحمد بن عبدالله بن محمد المعروف بالرازي: ص٧٩، ٢٩٤، ٢٩٥، والإصابة لابن حجر العسقلاني: ج ٢، ص٣٧٦، ٩٩، ٥٨٥.

(٣٦) بغية المستفيد في أخبار مدينةزبيد، عبدالرحمن بن علي بن محمد، ابن الديبع: مخطوط.مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم الحفظ ٠٤٣٠- ص٧٦، شبكة النت.

(٣٧) طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، أحمد بن أحمد بن عبداللطيف، الشرجي، ت: ٨٩٣هـ، نسخة مخطوطة في المكتبة المركزية - جامعه الملك سعود، .ص٥٠. شبكة النت.

(٣٨) طبقات فقهاء اليمن: عمر بن علي بن سمرة الجعدي: ٥٨٦هـ، تحقيق: فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ط٢، ص٦٤، ٦٥، ٨١.

(٣٩) انظر: طبقات فقهاء اليمن، ص٧٣، ٨٤.

(٤٠) انظر: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة للدكتورعبدالرحمن عبدالواحدالشجاع أستاذالتاريخ الإسلامي (غير منشورة) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٨٦م، ص٩١، ٩٢: ص١٥٨.

(٤١) هجر العلم ومعاقله، القاضي، إسماعيل بن علي الأكوع: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ط١، ج١، ص٥.

(٤٢) المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية(٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)عبدالعزيز راشد عبدالكريم السنيدي، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٩٠م،دط، ص٤٥.

(٤٣)الخانقاوات: جمع خانقاه، وهي كلمة فارسية تتألف من لفظين(خان) وتعني دار، و(قاه) وهي لاحقة تفيد المكان، أنظر: معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي،د. دولة عبدالله، مطبعة حسان، ١٩٨٠،م ص٥.

(٤٤) الهِجَر مفردها هجرة وهي قرية أو مدينة يهاجر إليها أحد العلماء فيقصده طلاب العلم إليها ومن أشهرها هجرة صعدة وهجرة دبر في سنحان وهجرة فلله في بني جماعة وهجرة الكبس، أنظر: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، ص٩١، ٩٢.

(٤٥) انظر: تأريخ اليمن الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، (عصر الولاة) د. محمد أمين صالح، ص٢٧٤.

(٤٦) اليمن في ظل الإسلام، منذ فجره، د.عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، ص٣١٥.

(٤٧)بتصرف عن الموضوع الذي نشرته مجلة (دراسات يمنية)العدد: ١ ص ١٦ تحت عنوان " المادة التأريخية في كتابات نيبور عن اليمن " للمؤلف أحمد قايد الصايدي، ويمكن تصفح الكتاب على شكل صفحات ويب.

(٤٨) "صفة جزيرة العرب" تأليف لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني:تحقيق:محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣، ١٩٨٩م، ص ١٧٠

(٤٩)الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقائدياً : د محمد محمد الحاج حسن الكمالي.دار الحكمة اليمانية ١٤١١هـ، ط١.ص١٧.

(٥٠) انظر: "حركة التجديد والإصلاح في اليمن في العصر الحديث " حسين عبد الله العمري، مجلة الاجتهاد، العدد التاسع، السنة الثالثة، ١٩٩٠م، ص١٨٥.

(٥١) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، (ت:١٢٥٠هـ) دار المعرفة، بيروت، دط، ص٨٢، ١٩٤.

(٥٢) انظر: حركة التجديد والإصلاح في اليمن في العصر الحديث " حسين عبد الله العمري، مجلة الاجتهاد، العدد التاسع، السنة الثالثة، ١٩٩٠م، ص١٨٨.

(٥٣)انظر:المصدر نفسه، ص١٨٩، ١٩٠.

(٥٤) البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني، ص ١٢٢، ١٢٦.

(٥٥) أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم – لبنان / بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ط١، ص٤٩.

(٥٦) تأريخ المذاهب الإسلامية ،محمد أبو زهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧ م، د ط، ص٢٠.

(٥٧) انظر: مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير. عبد الرحمن طيّب بعكر، تعز: مكتبة أسامة، دمشق: دار الروائع، دط،دت ص٦٤.

(٥٨)المصدر السابق نفسه، ص١٦.

(٥٩) البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٦٠) مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، حسين عبد الله العمري، ص١٨.

(٦١) مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير، عبد الرحمن طيب بعكر، مكتبة أسامة، ١٩٨٨م ، ص١١٨-١١٩.

(٦٢) انظر: المصدر السابق نفسه، ص١٥٤.

(٦٣) هِجَر العلم ومعاقله في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، سوريا،١٩٩٥م، ط١، ج٤، ص٢٢٥١

(٦٤) مقدمة السيل الجرّار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني: تحقيق: محمود إبراهيم زايد: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م،دط،ج١ ص١١.

(٦٥) النفس اليماني والروح الريحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني – للسيد عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل الحسيني المحدث اليمني، دط، ج١، ص ٣٤٣، وما بعدها.

(٦٦) ملخص ما كنت أسمعه من الشيخ العمراني نفسه حينما كان يسأله الطلاب في جامعة الإيمان عن سيرته ودراسته وعن تميزه ببرنامج فتاوى خلال هذه الفترة الممتدة، وقد وجدت له عدداً من المؤلفات والرسائل العلمية والأبحاث، وشاهدت المقابلات التي تقدمها الفضائيات اليمنية، وهو لا يخوض إلا فيما يتعلق بالأحكام الفقهية، وكم مرة يرد على من يسأله في قضايا السياسة فيردها،

ويقول: اسألوا بها غيري، أو الشيخ الزنداني، وفي تعبير الرؤيا يقول: أنا لا أعرف سلوا فلان، وليس هذا عجزاً منه كعالم متضلع معاصر لدول وحكومات وثورات ومتغيرات لها صلة بالفقه الإسلامي؛ لكنه اقتنع بمنهجيةٍ استحسنها لنفسه أن يشتغل بأمور الفقه وتدريسه والفتوى، وقد أجاد، وأفاد، وتخرج على يده العديد من العلماء في اليمن وغيرها، وأثنى عليه العلماء في العالم الإسلامي والمجمعات الفقهية، وهيئة كبار العلماء في بلاد الحرمين الشريفين، مدَّ الله بعمره، وأحسن الله إليه، وأحسن خاتمته.